الدكتور شاكر بك الخوري

١٨٤٧ — ١٩١١

بقلم جرجي ابرهيم نصر

من الواجب المفروض على كل أمة تخلّد أمجادها : وتفتخر بماضي آبائها وأجدادها . وتعتزّ بآثارها ، أن تُحيي ذكريات فواضلها الخالين : وتكرّم رجالاتها الباقين : الذين عملوا على إعلاء شأنها . ورفع كلمتها : وأدّوا بمآثرهم وبثقافاتهم العالية : أجلّ الخدمات لوطنهم : وثبتوا في الشدائد والملمّات : فدفعوا عن أوطانهم الشرور والآفات .

لذلك حقّ علينا ان نكشف للملأ ما خفي من آثار اولئك النوابغ . ومن هؤلاء العاملين الذين حملوا لواء الأدب والثقافة في زمانهم المرحوم الدكتور شاكر بك الخوري . الذي تشتاد بحقّ بالطيب الأديب .

وهو ابن يوسف ابن الخوري ابرهيم ابن الخوري اسطفان ابن الخوري ابرهيم الأول ابن الخوري اسطفان الأول (الذي ارتسم على رعيّة بكاسين في ٢٤ من كانون الثاني ١٧٢٩) وتور ابنة ناصيف حبيب ناصيف الخزيني . ولد في بكاسين نهار الأحد صباحاً في ٢٥ من تموز ١٨٤٧ وينتمي الى عائلة كريمة ومعتبرة . اشتهرت بخدمتها للحكومة والوطن متسلسلة كابراً عن كابر . وعندما بلغ الخامسة من عمره . عهد به والده الى مدرسة القرية فتعلّم فيها العلوم الابتدائية . كالقراءة والكتابة في العربيّة والسريانيّة : وكان والده أوّل متقدّم عند سعيد بك جنبلاط حاكم المختارة .

واذ صار شاكر على شيء من مبادئ القراءة في بكاسين : أخذه والده معه الى المختارة حيث أخذ يتعلّم العربيّة مع ولدي الحاكم الجنبلاطي

وهما صاحبا العزّة نجيب بك ونسيب بك . وكان معلّمهم يومئذ الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي نائب محكمة بيروت . وتيسّر له هناك أن يتعلّم مع رفيقيه الجبلاطيين . القرآن . وديوان ابن الفارض وألفية ابن مالك . وكان له ذاكرة غريبة . ساعدته على حفظ هذه الكتب غيباً تقريباً .

وفي سنة ١٨٥٨ فتح الثلث الرحمات المطران بطرس البستاني على حياة عزّ الطلب الذكر والأثر المطران عبدالله البستاني . مدرسةً في قرية مشموشة . حيث كانت يومئذ كرسي أبرشية صيدا المارونية . فدخلها شاكر وتعلّم فيها مبادئ الصرف والنحو . وظلّ في تلك المدرسة الى عام ١٨٦٠ حيث ابتدأت الحركة الشرّيرة المشهورة . التي أدّت الى إقفال هذه المؤسسة على كره . واضطرّ أبوه اذ ذاك أن يلجأ بعائلته الى مدينة صيداء . فوضع ولده في مدرسة الآباء اليسوعيين هناك خارجياً . فتعلّم مبادئ اللغة الفرنسية . وبعد استتباب الأمن وخلاص البلاد من تلك الفتنة الرهيبة . رجع شاكر الى بلدته بكاسين . وفي اواخر ١٨٦١ أدخله والده مدرسة عين طورا للآباء المعازريين . وهي تبعد حينئذ مسافة ثلاثة أيام عن بلدته . فكان يقضي المشاء نظراً لصعوبة السفر والطرقات في ذلك العهد .

تلقى في المدرسة المذكورة اللغة الفرنسية مع سائر الفروع : كالجغرافية والتاريخ والحساب والرياضيات . وكان والده وهو صغير يقول له : « إني أرغب أن أعلّمك الطبّ » فرسخ هذا الأمر في ذهنه . وطلب من إدارة المدرسة ان يتعلم اللغة اللاتينية لاعتقاده أنها ضرورية للاطباء . فتعلّم قسماً منها . وحين برع في اللغة الفرنسية . أراده والده ان يتمكن من العربية على أصولها . ولمّا كان المرحوم العلامة المعلم بطرس البستاني قد أنشأ اذ ذاك المدرسة الوطنية في بيروت . دخلها شاكر منضماً فيها الى اخيه خليل وذلك في تشرين الأول ١٨٦٤ فتلقّى فيها . الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض على أساتذته الشهيرين كالمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي والمرحوم الشيخ يوسف الأسير وغيرهما . وفي السنة التالية تعيّن في المدرسة المذكورة معلماً للغة الفرنسية مع استمراره على تعلّم العربية والانكليزية . وكان معلمه في هذه المرحوم سليم البستاني نجل المرحوم المعلم بطرس .

وفي تلك المدرسة ابتدأ ينظم الشعر : وكان مائلاً للنقد والنكتة والغزل . وفي اواخر ١٨٦٦ عاد الى وطنه بكاسين حيث قضى فصل الشتاء : بانتظار

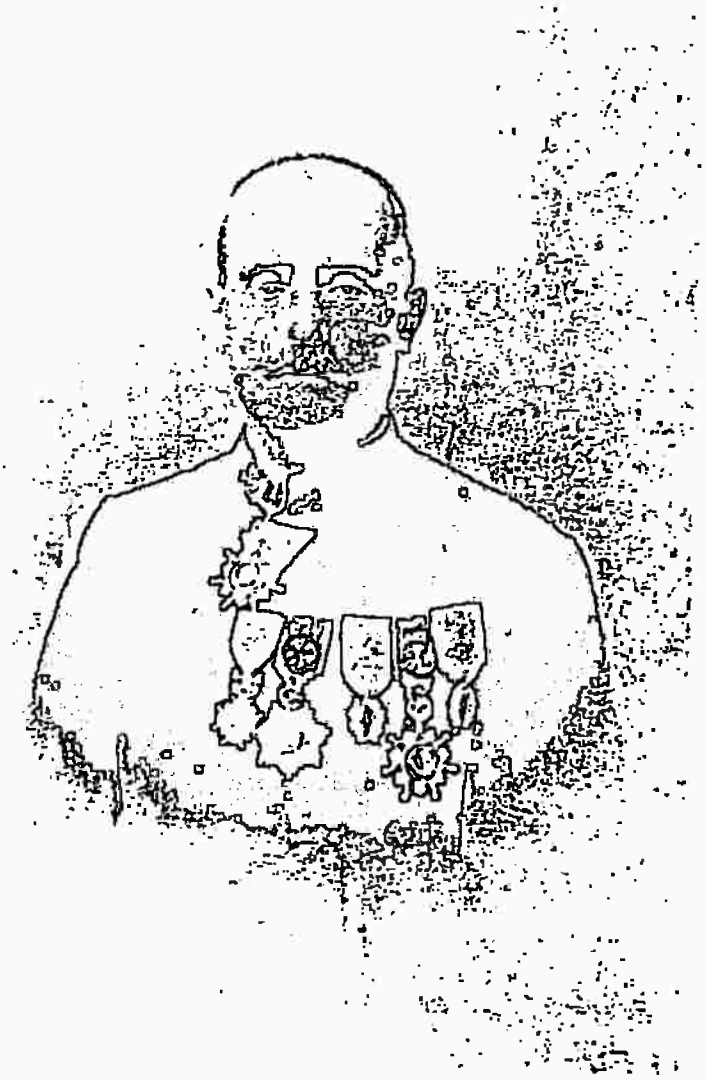

الدكتور شاكر باك الخوري

١٨٤٧ ١٩١١

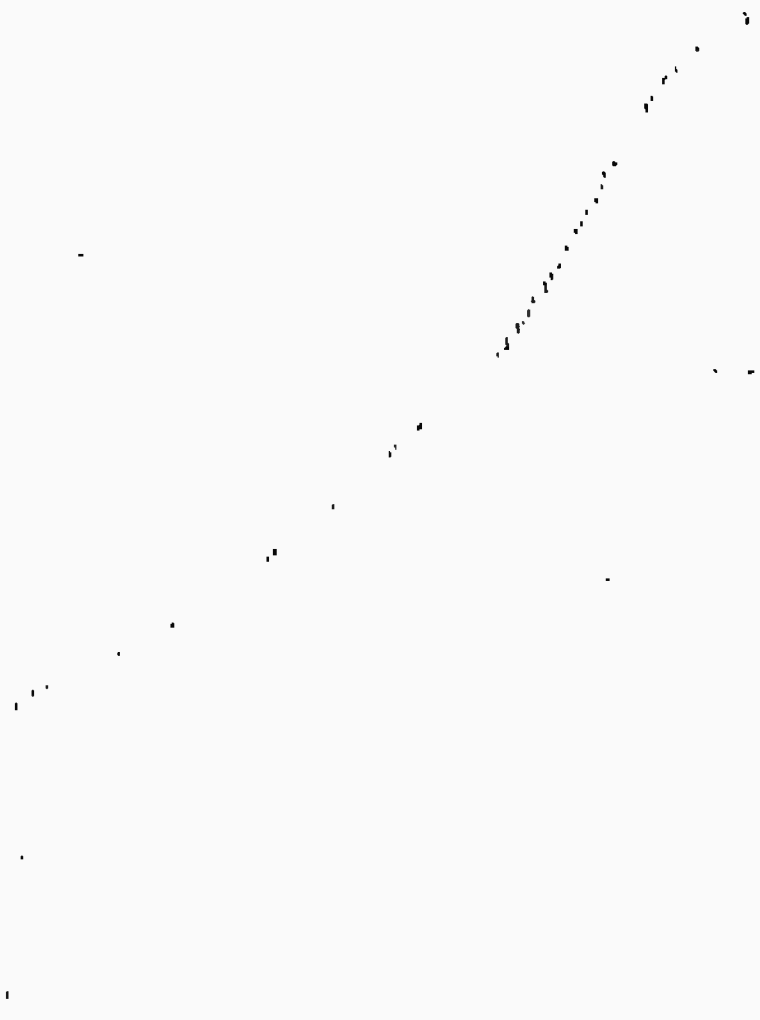

ان يجد له والده شغلاً . لكنّه أبى ان يذهب وقته ضياعاً : ففتح مدرسة في قريته العزيزة . علّم فيها أحداثها العربية والافرنسية حتى الربيع ؛ واذ ذاك نزل الى بيروت للدخول في محل تجاري ؛ وهناك كان لوالده ، صديق من التجار . فأدخله كاتباً في أحد محلاته مدة شهرين ولما دنا الصيف ألمّ به داء فأحضره والده اليه في بيت الدين . حيث أراد ايجاد وظيفة له في حكمية المتصرفية برفقة احد المهندسين ؛ فلم يقبل . وذهب الى بكاسين لتسخية فصل الصيف . وفي أواخره جعلت المصادفات ان يقابل السيد اسكندر المعوشي من جزين ؛ فأخبره المعوشي انه مسافر الى مصر . حيث كان اخوه المرحوم الدكتور سليم ؛ الذي تمم دروسه الطبّية في مصر ومكث هناك . وعندها عنّ للمترجم ان يذهب الى ربوع النيل فيدرس الطبابة . وكتب الى والده في بيت الدين يطلعه على ذلك ؛ ويطلب منه الحصول على توصية من المرحوم داود باشا متصرّف جبل لبنان يومئذ ؛ وكان ليوسف والد شاكر معزّة خاصة عند داود باشا وهو اذ ذاك عضوٌ في مجلس إدارة لبنان ؛ فأعطاه الباشا رسالة توصية الى ناظر الداخلية في مصر راغب باشا . فسافر شاكر مع اسكندر المعوشي . وبلغا الاسكندرية في ٢٥ تشرين الأول ١٨٦٧ . ثم توجّه شاكر الى مصر وأوصل رسالة باشا لبنان الى باشا مصر . فوعده هذا بنيل مطلوبه قريباً عاجلاً . وهو ان يتعلم الطب على حساب الخزينة الخديوية . وكان يتعلّم على نفقتها حينذاك عشرة طلاب من الشام . وحالما أنهوا دروسهم ؛ دخل شاكر المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني في أول كانون الثاني ١٨٦٨ وكان رئيسها الطبيب محمد علي باشا البقلي الجرّاح الشهير . وكان قانون الدراسة الطبّية في تلك المدرسة ستّ سنوات هجرية . فتلقّى شاكر العلوم الطبّية باجتهاد ؛ وكان أول أقرانه ؛ على ما نعتقد به علامات امتحاناته وشهادته الطبّية .

وفي أثناء إقامته في مصر شاهد فتح ترعة السويس سنة ١٨٦٩ حيث احتشد ملوك أوروبا وجمهور غفير من علماء الغرب والشرق . ممّا أدّى الى تأخير الفحوص الى ما بعد فتح تلك الترعة ؛ وكان يترأس كل امتحان سعادة بوكار باشا الفرنساوي طبيب الحضرة الخديوية ؛ مع أطباء مجلس الأمة . وكان معلمو معهد قصر العينيّ جميعهم من جامعة باريس ؛ التي كان معهد قصر العينيّ فرعاً ذا وقد جعله هكذا مؤسسه كلوت بك الفرنسي .

وفي هذا المعهد . قدم شاكر فحصه الطبّي النهائي . وفيه نال شهادته

الطبيّة في ١٤ تشرين الأول ١٨٧٣ ومكث في مصر يمارس الطب بصفة استاذه الدكتور حسين بك عوض ووالده الطبيب محمد بك في امراض العيون ؛ وقد أضحى المترجم ماهرًا في هذا الفرع . وفي أثناء وجوده في مصر ، طلبت اليه الحكومة الخديويّة ان يرافق السيّاح في بلاد النيل ، فسافر مرّتين في البواخر الخديويّة حتى بلغ بلاد البرابرة وجاز الشلال الأول حتى الجزيرة السمّاة « بقصر أنس الوجود » .

وفي عام ١٨٧٤ رافق المرحومة الأميرة حسن جهان أرملة الأمير بشير الشهابي من مصر الى سورية . وقد كانت الأميرة مريضة . ورجع حالاً الى مصر ثانية ؛ فوجد المرحوم والده وشقيقه الدكتور أمين قد حضرا اليها مدة غيابه . فدخل أخاه أميناً في مدرسة قصر العيني . أما والده فلم يلبث أن رجع الى لبنان ، وكان يومئذ عضوًا في محكمة الجنايات . وفي تشرين الثاني ١٨٧٥ مرض والده فاستدعاه الى لبنان لمعالجته . فحضر حالاً تاركاً أشغاله ، وأقام بجانبه مدة ثلاثة أشهر حتى تعافى . وأراد شاكر الرجوع الى مصر فمنعه والده ، وطلب منه أن يسكن لبنان . فنزل عند الإرادة الوالدية ، واستوطن الوطن الأم نهائياً ، لكنه قبل ان يأخذ محلاً لعيادته قام برحلة في البلاد . فتوجّه الى عكاء وقضى فيها ثلاثة أشهر عند قريبه رجل الخير والفضل المرحوم ابرهيم نجراله الخوري الذي كان من أكبر التجار هناك . وأراد أهل عكاء توظيفه في بلديتها وأخرجوا له أمرًا بذلك من مجلس إدارتها ، فرفض معتذرًا . وقصد الى دمشق فأقام فيها ثلاث سنوات . وهناك ألّف كتابه الشهير المسمّى « نزهة المتزوّج » وقدمه للطابعة للمعارف . فأهدته الوسام المجيدي العالي مكافأة عليه .

وبعد أن جال في أكثر مدن لبنان وسورية استقرّ نهائياً في بيروت ، وأنشأ عيادة طبيّة فيها . وشاء أن يتزوّج . فاختار مريم ابنة خليل اللبّان من بيروت زوجاً له ورُزق منها خمسة ذكور وابنة دعاها حسيبه ؛ كان نجيبًا كثيرًا ، تزوّجت من السيد يوسف أسعد رحيّم من جزين ، وسكنا باريس . وقد روى لي المرحوم الاستاذ ابرهيم سليم النجار في زيارتي له في بيروت في ٢٩ من آذار ١٩٤١ ما يلي :

« عندما زرتُ باريس ، دعتني حسيبه كريمة المرحوم الدكتور شاكر الخوري الى زيارتها في منزلها ، فلبّيت الطلب نظرًا للروابط التي كانت تربطني بعائلتها ، وفي تلك الزيارة قدّمت لي شاباً لبنانياً يدعى جبران خليل

جبران : كان يدرس فنّ التصوير على يد اختصاصيين في العاصمة الفرنسية ، وقد شنّف آذاننا بعزفه على العود . وفي سنة ١٩١٨ مرضت حبيبه بعد ان أصيبت بعدوى الحمّى الاسبانيولية وقد عدتها في مرضها وأنا اجهل أنها تنتظر ساعاتها الأخيرة ، فانها لم تلبث أن توفيت بعد يومين اثنين » .

ولنعد الى موضوعنا الأساسي . في بيروت تعرّف الدكتور شاكر بالمرحوم الدكتور سنس وقد كان طبيب المستشفى الفرنسي ، فأدخله في المستشفى ، حيث الدكتور سنس الشهير في خدمة المرضى في المستشفى المذكور وفي مستوصف راهبات المحبّة ، وكان ذلك في تشرين الثاني ١٨٧٩ . وعندما فُتحت المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت عام ١٨٨٣ تعيّن الدكتور شاكر استاذاً فيها لأمراض العين وللجراحة الصغرى والأربطة وبقي هناك الى عام ١٩٠٦ وكان في تلك الحقبة يطبّب العيون ايضاً في مستوصف راهبات المحبّة في بيروت . وقد نال شهرةً وتفوّقاً في عالمَي الطب والأدب ، وأصبح اسمه معروفاً لدى كبار الأدباء والباحثين ولا سيما في معالجة العيون والجراحة الصغرى . وكوفئ على ذلك بأوسمة متعددة منها : المجيدي الرابع والعثماني الرابع والعثماني الثالث ووسام المجمع العلميّ الفرنسي ووسام مجلس المعارف الفرنسي ووسام صاحب القداسة بطرس ولقب « بك » من الذات الشاهانية وترجماناً من تراجمة دولة فرنسا وحمايتها .

مكتبته وآثاره

وكان له مكتبة جامعة حافلة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة والصور التي لعبت بها ايدي الضياع أثناء الحرب العالمية الأولى ، اذ أهمل الاعتناء بها ، فكانت الخسارة جسيمة لفقد هذه المخطوطات والأوراق القيّمة .

وله عدة مؤلفات طبع بعضها وهي : «تحفة الراغب في صحة المتزوّج وزواج العازب» (١٧٨٩) و «نائب الطبيب» (١٨٨١) و «صحة العين» (١٨٩٠) و «مجمع المرآت» (١٩٠٨) ومؤلفات أخرى لم تُطبع عبثت بها الأيدي . وقد ذكرها رحمه الله في ترجمة حياته المخطوطة التي خطّها بيده قبل وفاته والتي نحتفظ بنسخة عنها وهي :

كتاب علمي فلسفي عنوانه : «الخالق والخليقة» . ثم «الطبيب السائح» . وهو رواية علمية . وتاريخ شيخ الجبل رئيس الإسماعيلية . وكتاب في فن الموسيقى العبرية وعلاماتها . ثم قاموس طبي في ثماني لغات : الفرنسية (وهي

الاساس) والعربية والتركية واللاتينية والايطالية والاسبانية والألمانية والانكليزية. وقد رأيت بعض الكراريس التي كان قد أعدّها لهذه الغاية. ويُحتمل أن يكون قام باعداد هذا القاموس وتنظيمه وترتيبه في أخريات أيامه بالاتفاق مع كبار الأطباء والاختصاصيين ولم يتسنّ له اخراج أي قسم منه لاعتلال صحته.

وله ايضاً خطب ألقاها في دمشق خلال إقامته فيها. وكان عضواً عاملاً في الجمعية التاريخية. وله خطاب تاريخي في أهرام مصر. ومنظومات كثيرة ذات أسلوب سلس. يعذب على الأسماع. لما حواه من خفّة الروح والنكات اللاذعة. ولكنه لا يخلو من الركاكة. لأن أكثر ما ينظمه كان يجيء عفو الخاطر: لا يعتني بتصحيحه أو تنقيحه.

وله أقوال فلسفية منها: إن المال لا يغيّر صفات المرء بل يزيدها فيه. اذا ذهب الى البخيل زاد بخلاً. أو قصد الكريم زاد كرماً. ولا يصير البخيل كريماً ولا الكريم بخيلاً. ومن قوله:

لا بد للانسان من همّ: وأخصّ هذا الهمّ هو عدم حصوله على كلّ ما يريد. وذلك لعمري ضروريّ للوجود. لأنه اذا نال الإنسان كلّ ما اشتهى: فلا يمكنه احتمال شيء من متاعب الحياة. فالتعب في الحصول على المقصود يجعله ينسى باقي أتعاب الحياة ويتحمّلها بسهولة. ومن قوله أيضاً: جمال الإنسان حالة قريبة تجعله يحسد. ولكن اذا عرفه وعرف همّه عدل عن الحسد. ليست الراحة بالغنى: لأن حفظ المال يُتعب أكثر من كسبه وتحصيله. الى غير ذلك من الأقوال الفلسفية البعيدة المرمى.

شخصيته ومذكّراته

كان رحمه الله طويل القامة: أسمر اللون: حادّ الطبع: سريع الغضب: طيّب القلب: صريح القول. متّقد الذكاء. جريئاً مقداماً. أديباً ظريفاً وشاعراً خفيف الظلّ: ذا سرعة خاطر في الأجوبة الملآنة بابتداع المعاني: لاذع الهجاء: حاضر النكتة: اشتهر بالظرف والدعابة والمرح والفكاهة. وقد جمع كثيراً من الحوادث والأخبار والمشاهدات التي وقعت في عصره أو شهدها بنفسه أو اتّصلت اليه من الرواة الناقلين في لبنان وسورية ومصر ودوّن بعضها في كتابه المشهور «مجمع المسرّات» الذي حفل بمعلومات كثيرة وافادات ذات شأن: يصحّ أن يشكّل قسماً منها أساساً ومرجعاً لأمور هامّة غابرة في تاريخ لبنان. واليه والى معاصره ابرهيم

الأسود : يعود الفضل في حفظ التفاصيل والمرويات عن عهد المتصرفية ونشرها لأنهما رافقا تلك الحقبة من التاريخ اذ كانا قريبين من الدوائر الرسمية ؛ وبفضل ذلك تمكنا من الاطلاع على ماجريات الأمور وتسطيرها على أكثر ما يكون من الدقة والأمانة .

وفي الكثير مما سرده الدكتور شاكر مراجع تاريخية مهمة في تاريخ لبنان . ولولاه لضاعت من تاريخنا هذه الأصول . وأكثرها اليوم مفقود . يمكن الاستناد اليها في وضع تاريخ للبنان ، وذلك على الرغم مما وقع به من الأخطاء التاريخية الجلية التي رأينا أن نصحح بعضها .

ذكر في كتابه «مجمع المسرات» ص ٦١٠ أن الجد الأصلي لعائلته هو الخوري جرجس عبود الذي سامه البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠—١٧٠٤) كاهناً في غوسطا على نيحا ومزارعها . ومن جملة مزارعها بكاسين وذلك سنة ١٧٠٣ . ولدى الاطلاع على سجل سيامات الكنيسة التي قام بها البطريرك المذكور من ١٦٨٤ الى ١٧٠٤ تاريخ وفاته ؛ والمنشورة في مجلة «المشرق» المختبة (١٩٣٢ ص ٤٩٠) لم نجد أثراً لما ذهب اليه المترجم له ، وقد يكون ما رواه مستنداً الى روايات منقولة بالمشافهة فحيثية الإسناد ؛ فضلاً عن الخطأ الذي وقع به ؛ وأشار اليه : بتعيين الخوري عبود على نيحا ومزارعها منها بكاسين ناهيك عن بُعد المسافة التي تفصلها عن بعضها البعض .

وقد جاء في كتابه الآنف الذكر ص ١٤٥ أن جدّ الخوري ابرهيم ابن الخوري اسطفان الثاني ابن الخوري ابراهيم الأول المتوفى في بكاسين في ٢٥ من تشرين الأول ١٨٦٥ عن أربع وسبعين سنة . كان أول كاهن في نفاء جزين نال رتبة بريبوط ؛ نقلاً عن سجلات الكرسي البطريركي الماروني ؛ كما يقول : والحقيقة إن الذي نال هذه الرتبة هو الخوري ابرهيم الخوري الأول ابن الخوري اسطفان الأول وذلك في ١٥ آذار ١٧٨٧ وقد منحه اياها المطران يوحنا الحلو (البطريرك فيما بعد) اذ كان يومئذٍ زائراً بطريركياً في بكاسين وسنوضح ذلك في مقالنا هذا .

كذلك يزعم أن جده الخوري ابرهيم سيم كاهناً في ١٠ آذار ١٨١٠ والصواب انه رسم في ١٠ آذار ١٨١٧ ولعل ذلك خطأ مطبعي .

كما يعترف بصراحة ووضوح في كتابه ص ٦١١ إنه عندما احتاجت بكاسين الى كاهن طلبوا صهر الضيعة ابن الخوري عبود الذي رسمه المطران

سمعان عواد (البطريرك) كاهناً على بكاسين في ٢٤ ك٢ ١٧٢٨ والصواب ١٧٢٩ . ثم يقول : وكان للخوري اسطفان عندما حضر الى بكاسين ثلاثة أولاد أكبرهم ابو عساف رزق الله والثاني الخوري ابرهيم والثالث أبو فارس انطون . ونتيجة لأبحاثنا وتحرّياتنا وقفنا على ما يلي :

الأول : ابو عساف رزق الله جاء على ذكره ص ١٢٧ انه كتب وصيته عند موته ؛ وقد وقف الى دير سيدة مشوشة مزرعة جوار السويس — وهي من املاك بكاسين — ليصرف ريعها في بناء مدرسة لتعليم اولاد بكاسين . وتاريخ هذه الوصية سنة ١٧٨٧ .

الثاني : الخوري ابرهيم . لا يُعقل أنه سيم كاهناً قبل والده الخوري اسطفان الأول . ويدلنا التاريخ أن الخوري ابرهيم المذكور رفعه المطران يوحنا الحلو الى درجة برديوط على مذبح كنيسة القديسة تقلا في بكاسين بقداس حبري في ١٥ آذار ١٧٨٧ كما اوضحنا . وقد كان مرتسماً قساً من يد المرحوم المطران ارميا تجيم (« المنارة » : ١٩٣٠) .

وكان هذا الكاهن حياً سنة ١٨٠٨ اذ ورد اسمه في سجل مخطوط يبحث في مساحة أراضي بكاسين ؛ وقد ذُكرت فيه قطع الأرض التي كان يملكها : منير بتوقيعات المشايخ امين وقاسم وعلي جنبلاط واختامهم — كما ورد ايضاً اسم ولده الخوري اسطفان الثاني الذي سيم كاهناً في بكاسين في ٢٩ حزيران ١٧٩١ من المطران يوحنا الحلو (« المنارة » ص ١٩٣٨ : ٣٣٧) وقد توفي الخوري اسطفان في بكاسين في ٣ ك٢ ١٨٣٩ كما جاء في « مجمع المسرات » ص ١٤٦ .

والثالث : ابو فارس انطون : وقد ورد اسمه في شهادة مؤرخة في ١٣ آذار ١٧٩١ (« المنارة » : ١٩٣٠) .

يتضح مما ذكرناه ويشعر القارئ من المعلومات التي سردها الدكتور شاكر أن ابناء الخوري اسطفان الأول الثلاثة كانوا متزوّجين ولهم أولاد حين مجيئهم الى بكاسين وقبل سيامة والدهم كاهناً . كما يتبادر للذهن أن الخوري ابرهيم الأول كان كاهناً قبل أبيه .

ان الايضاحات التي توفّرت لدينا وقد بيّناها في هذه الترجمة تزيدنا علماً ووضوحاً بأن اولاد الخوري اسطفان الأول : منهم مَن كان صغيراً عند سيامته ؛ ومنهم مَن وُلد بعد سيامته ولا يمكن أن يمتدّ بهم العمر الى التاريخ الذي ذكرناه ؛ اذ كانوا وُلدوا وتزوّجوا وتناسلوا قبل سيامة والدهم . وهذا ليس

بمعقول . وفي صحيفة ٣٨٧—٣٩٥ تحت عنوان (دعوى عميلنا) يتطرّق الطيب الى ذكر خلاف مالي حصل بينه وبين مواطنه التاجر في بيروت ، المثري الشهير في عصره المرحوم ملحم منصور نصر ١٨٤٦—١٨٩٠ . وقد نسب اليه فيه أموراً معظمها لا يتّفق والواقع : وينعته بابن شليطا — وهذا اللقب لأبيه لأنه كان طويلاً — وفي أخباره من المتناقضات ما يدعو الى الشك ؛ وحبذا لو ترفّع عن الإساءة وتجنّب الخوض في هذه القضية التي يكتنفها الغموض والإبهام .

وفي صحيفة ١١٨ يذكر اسماء التلامذة الذين مثّلوا رواية يوسف الحسن في المدرسة الوطنية التي أنشأها المعلم بطرس البستاني ، ومن افرادها مواطنه ونسيبه ابرهيم راشد عطيه (١٨٤٦—١٩٣٢) فقد دوّن اسمه ابراهيم راشد متغاضياً عن ذكر عائلته وبلدته وكان هذا يتلقى علومه مع صاحب الترجمة وشقيقه خليل (١٨٥٠—١٨٩٤) ونعمان يوسف مبارك الخوري (١٨٥٦—١٩١٠) الذي اصبح فيما بعد قنصلاً عاماً للدولة الفرنسية في مراكش وسليمان ابن الخوري مخايل لطفي (١٨٥٧—١٩٤٥) .

وفي صحيفة (١٤٥—١٤٦) أتى على ذكر تأسيس دير سيدة مشموشة ؛ وممّا قاله : ان البطريرك سمعان عواد اشترى قسماً من أرض الدير من أولاد بو عتمه في مشموشه وقد عدّد أسماءهم . لكنه أهمل نشر هذه الوثيقة تدعيماً لقوله ؛ وهذه هي منقولة عن رونزامة الدير :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وجه تحريره وموجب تسطيره

هو انه قد باعوا أولاد بو عتمه . فيّاض وخالد وتمر ومخزر وشعبون . حصّتهم جميعها من حدّ الحجر مقلب الماء ، الى حدّ عين الجوزه منه ؛ قبلة وشمال وشرق وغرب جميع ما لهم من سليخ في الموضع المذكور . وما بقا لهم علقا ابداً . وذلك البيع الى حضرة قدس المطران سمعان (عواد) القاطن في دير عين الجوزه ؛ وذلك مبلغ ثمانية عشر قرش ، التي نصفها حصّتها لأصلها تسع قروش . وقبضوها قبض قبضه بالحاضره والمعاينه برضا الفريقين من غير تعلّل ولا عناد . تحريراً في ٤ أيام من شهر تشرين الأول الذي وماية وخمسة واربعين هجرية ١١٤٥ (١٧٣٢ م) .

شهـــود الحـــال

شهد بذلك	شهد بذلك
عبود ابن ...	المعلم بو ابراهيم صايغ

وبهذه المناسبة نوجّه نداءً حارًّا الى جانب الرئاسة العامة للرهبانية البشارية الكريمة التي تزخر بطائفة كبيرة من العلماء والمثقّفين : أن ينصرفوا الى نشر تاريخ هذا الدير : وان يتناولوا نشأته وذكر الرؤساء الذين تعاقبوا عليه : وما قام به كل منهم . الى جانب نشر الصكوك القديمة ، وما طرأ على الدير من أحداث : خصوصاً في الحركات الثلاث : حتى لا تندثر يوماً أو تطالها الأيدي وتعبث بها . ومن يدري ما يخبّئه لنا الدهر . ولعلّها فاعلة باذن الله .

وهذه وثيقة ثانية ثبتت على مرور الزمن وتقلّبات الدهر . عائدة الى ١٧٣٤ م تزيّن بها هذه الترجمة ، وهي تحمل توقيع اربعة أشخاص من بكاسين ، بينهم الخوري اسطفان الأول ، جد عائلة بيت الخوري في بكاسين : نثبتها بنصها التالي :

وجه تحرير هاذي (هذه) الاحرف وهو ان اشطرا (اشترى) بمالو (بماله) لانفسو (لنفسه) دون غير (دون الغير) ودون ساير الناس اجمعين وهوا (وهو) ابو نجم حنا ابن بو غانم من اولاد نصر الشهوجه (الشهوجي) من قريت (قرية) السنانيه حسنين (حسنهم) الذي (الّتي) في جورت (جورة) الشكارا (مكان في بكاسين يكثر فيه الزيتون) بتيسين (بتسعين) المثمن المعتاد اجاري بيس (بيث) قدروه باحد عشر قرش ودفع اشاري لي (الى) البايع الدراهم المعينه دفعا (دفعة) واحده على رضا واخطيار (واختيار) الفريقين بلا غصب ولا تكليف ولا كره فيه ولا فساد ولا رجوع ولا معاد وصار ذلك ملك الشاري (الشاري) تحريرا (تحريرًا) دالث (ذلك) سنة الف ومايه وسبعا واربعين صح صح صح.

حرر الاحرف بوحرفوش	بسم الله	بسم الله
	شهد	شهد
	موسي شاهين	بوهطر صطفان	الخوري صطفان

ومما يؤخذ على شكري الخوري : وهو ذلك العالم المتبحّر . الواعي في عصره وبين قومه : أنه أهمل الإشارة الى وطنه بكاسين ، فلم يؤرّخ لنشأتها والأحداث التي مرّت بها ، ولا ذكر نابغاً من نوابغها أو مشهوراً من مشاهير رجالاتها ، اللهمّ الا من كان يمتّ بنسب الى عائلته وذوي قرباه ، وقد كان ذلك ميسوراً لديه لمعاصرته الكثيرة من مشهوري رجالها ونوابغ أدبائها ، وما كان يمكنه إثباته بالنقل والتواتر عن شيوخها المعمّرين . ولو أنه توخّى ذلك ، لأنصف أهل بلده ، ودلّل على تعلّقه

بوطنه الصغير . وأماط اللثام عن كثير من الحوادث التاريخية التي وقعت في عصره أو شهدها بنفسه أو اتصلت اليه من الرواة الناقلين .

ومع ذلك فان مواطنيه المشهود لهم بالوفاء . لا ينسون له تلك المواقف الجريئة الصادقة ، ووقوفه الى جانبهم في كثير من الأزمات والمواقف الحرجة التي تعرّضت فيها بلدتهم دفاعاً عن حق مشروع . وصموده في وجه المكابرين إبّان الشدائد والملمّات .

نماذج من شعره : وهذه بضع قطع انتخبناها من كتابه (مجمع المسرّات) الحافل بالعجائب والغرائب والطرائف . يطغو عليها روح النكتة والفكاهة اللاذع وجمال الوصف ورقة التعبير . وقد هذّب بعض عبارات على بعض منها بعد الطبع .

وهذا أول شعر نظمه في وصف غادة حسناء :

يا ظبيةً أسر الفؤاد بحبّها ... كفّي القتال فان طرفك ساحرُ
أخفيتُ حبّك عن فمي حتى غدا ... لم يدرِ فيه وهو فيك الشاعر
والآن أبدي ما كتمت من الهوى ... فلك الرضا بقبوله والخاطر
إن تُنكري أو ترتضي أو ترفضي ... فأنا أنا في كلّ حال شاكر

وقال في حسناء تدعى مريم :

أهديك قلباً موجعاً ومجرّحاً ... ومخضّباً من سهم لحظك بالدما
لو شرّحوه وجدت مكتوباً على ... سوداته : هذي الديار لمريما

وقال في احدى السيدات عندما سافرت بالسكة الحديدية الى المنصورة في القاهرة :

لمّا مشى البابورُ وهي بقلبه ... وبقلبي النيران عزّ مثيلُها
أسبلتُ دمعي حسرةً وصبابةً ... في مصر حتى فاض منها نيلُها
فبكى نُواحي والبكاء هديرُه ... وصفيرُه روحي يُزيد عويلها
أخذوا مياه بخاره من أدمعي ... وأعرتُهم نار الفؤاد تُحيلها

وقال في احد القضاة واسمه محمود كان متّهماً بالرشوة :

عجباً لقاضي ملّة ... دون القضاة لـه عوائدْ
فكلامه موصولٌ غدا ... لا بدّ من صلةٍ وعائدْ

وقال بعض مشبهاً نفسين شقيقين :

لما رأيت صليباً فوق مذبحه ... ما بين حنا وجبرائيل قسّين
حسبته واقفاً من فرق جلجلة ... وإنه لم يزل ما بين قسّين

وقال في كاهن عالم : نال درجة الأسقفية . وكان فخم الجثة : تمّت سيامته في شهر آذار . الذي تحلّ فيه الشمس في برج الحمل حسب علم الفلك :

في حلول الشمس في برج الحمل ... حلّ روح القدس في هذا الجمل
لا تخف إن وعظه ينهاك عن ... إعتزال ذكر الأغاني والغزل

وهذه أبيات أرسلها الى احدى السيدات :

هذا الكتاب يهاديه من مقلتي ... من ذوب قلبي قد جعلتُ سواده
يمشي على قدم الحيا يبغي الرضا ... منكم . وقد جعل النسيم جواده
زوّدته فكري لذلك ما ارتضى ... بسوى إنه أخذ الخشاشة زاده
إن تسألي عن حالتي فأنا الذي ... جعل المحبة كعبه وجهاده
ونقد أضاع بهجركم آماله ... ورقاده ودموعه وفؤاده

وقال في عشي الأمير سعيد وكان خالياً من اللحم . وقد طارت هذين البيتين شهرة كشهرة الموازنات القديمة بين جرير والفرزدق وبين المتنبي وأبي تمام :

قد قيل إن المستحيل ثلاثة ... واليوم رابعة أتت بمزيد
الغول والعنقاء والخلّ الوفي ... واللحم في عشي الأمير سعيد

ودخل يوماً على رجل يُقامر : فغضب هذا منه . فقال له : قد اخبرني عن الغيب يا شاكر . فأجابه بقوله :

أخبرني يا شاكرًا ... ما هكذا فعل الصديق
فأجبته إني الذي ... يُلهي الخمار عن الغليق

وكان دولة متصرّف لبنان مظفّر (باشا ١٩٠٢—١٩٠٧) طلب من الشعراء ومن الدكتور شاكر نفسه نظم أبيات تاريخية لتُحفر على الباب الذي جدّد بناؤه في سراي بعبدا : فلبّى الطلب مع بضعة شعراء . وقد تألفت لجنة تحكيم واختارت أجود ما قيل : ففاز احد الشعراء . فغضب الدكتور شاكر وقال :

لو انّ شعري شعير لاستطيبته الحميرُ
لكن شعري شعور وصل للحسير شعور؟

وله عبارات ونكات عذبة كثيرة تردّد الى اليوم كما تُردّد الأمثال يصعب احصاؤها لو شئنا تعدادها وذكر حوادثها لاستوعبت صفحات كبيرة ؛ وأكثرها منشور في كتابه (مجمع المسرّات) . نكتفي هنا بسرد بعض منها ذكرها عنه أحد كبار أئمّة النثر والقانون العلامي الفطيع والكاتب النحرير الاستاذ عبدالله كود العمشيتي .

كان الدكتور شاكر صديقاً للأمير منقذ شهاب . وكان هذا صاحب نكت بارعة ؛ وهو ابن الأمير عبدالله ابن الأمير حسن شقيق الأمير بشير الشهابي الكبير ؛ تولّى مديرية ناحية جبيل فترةً طويلةً من حياته . رآه الدكتور شاكر يوماً في ساحة البرج ببيروت ؛ ووراءه جنديان . وكان شاكر متعباً فرسه الزرقاء ؛ فنادى الأمير وهمّ بالنزول عن فرسه للتسليم عليه ؛ فحاول الأمير منعه . فقال شاكر : حلفت يميناً أن أنزل عن فرسي احتراماً لمن هو أرذل مني .

والنكتة الثانية : هو ان حلّ ضيفاً على مائدة سلمى بولاد في مصر وبين المدعوين كاهن لا يكره المباسطة ؛ وقد عتب الكاهن على الطبيب لاحتكاره الحديث مع السيدة . فقال الدكتور على الفور موجهاً كلامه للكاهن : لتتأسّ : سلمى لي ؛ وبولاد لك . فضحك الكاهن بدون ذعر .

قُبيل غروب شمسه

كان أعزّ أمانيه . بعد أن زار فرنسا وانكلترا ؛ أن يتبرّك بزيارة الأماكن المقدسة ؛ مهد المسيح ؛ ووطن الرسل . ومهبط الأنبياء ؛ وقد قدّر له أن يحقق هذه الرغبة ؛ فشخص الى فلسطين وطاف في مختلف أنحاء اورشليم ؛ ومشى على طريق الجلجلة التي سار عليها السيد المسيح . فدخل الهياكل والمساجد المقدسة ؛ وشاهد الآثار التاريخية الخالدة .

وقد تجلّى صدق ايمانه ؛ وراسخ عقيدته ؛ في أواخر حياته ؛ فتقرّب مراراً من منبر التوبة ؛ وتزوّد الأسرار الإلهية الأخيرة عن يد رئيس دير جزين للآباء اليسوعيين .

ومن غريب المصادفات إنه في الساعة التي دفن فيها رفات قريبه المرحوم نعمان الخوري فنصل فرنسا السابق في مراكش الذي نقلته احدى

البواخر الفرنسية الى لبنان . فاخذت في تلك الساعة روح الدكتور شاكر ، وكان ذلك بعد غروب شمس الخميس الواقع في ٢٤ آب ١٩١١ على أثر إصابته بداء السكتري والزلال .

فذهب مبكياً عليه . مأسوفاً على علمه الراسخ ، وأدبه الرائع . مشى وراءه رهط من العظماء والأحباء والوجهاء . وشيّعته بلدته بكامل أبنائها . وغزير دموعها ، وأودع جثمانه بعد الصلاة عليه ، تراب ذلك البلد الطيّب ، الذي طالما أشاد به ، وتغنّى حنيناً اليه بين الناس .

ومن نكد الدنيا ان والدته الثكلى عاشت بعده جريحة حزينة . وقد توفاها الله بعد مماته في ٢٢ آب ١٩١٢ عن ٨٨ عاماً .

وكانت وفاة زوجته مريم خليل التيّان في بيروت السبت في ٢٢ ت٢ ١٩٢٤ عن خمس وسبعين سنة ، وبعد الصلاة على جثمانها في كنيسة مارمارون ، أودعت مثواها الأخير بالاجلال والتكريم .

سيظل الدكتور شاكر الخوري مذكوراً بفضل أدبه ، وغيرته على الرضى ، وبخفّة روحه ، وظرف حديثه ، وسرعة نكاته التي تطيب لها النفوس وتستعذبها الأفواه .